تفسير ابن كثير

روي عن ابن عباس أنهم كانوا أربعة آلاف وعنه كانوا ثمانية آلاف وقال أبو صالح : تسعة آلاف وعن ابن عباس أربعون ألفا وقال وهب بن منبه وأبو مالك : كانوا بضعة وثلاثين ألفا وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كانوا أهل قرية يقال لها داوردان وكذا قال السدي وأبو صالح وزاد من قبل واسط وقال سعيد بن عبد العزيز : كانوا من أهل أذرعات وقال ابن جريج عن عطاء قال : هذا مثل وقال علي بن عاصم : كانوا من أهل داوردان قرية على فرسخ من قبل واسط وقال وكيع بن الجراح في تفسيره : حدثنا سفيان عن ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو الأسدي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت } قال : كانوا أربعة آلاف خرجوا فرارا من الطاعون قالوا : نأتي أرضا ليس بها موت حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال ا لهم { موتوا } فماتوا فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم فأحياهم فذلك قوله D { ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت } الاية وذكر غير واحد من السلف أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد فخرجوا فرارا من الموت هاربين إلى البرية فنزلوا واديا أفيح فملؤوا ما بين عدوتيه فأرسل ا إليهم ملكين أحدهما من أسفل الوادي والاخر من أعلاه فصاحا بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم موتة رجل واحد فحيزوا إلى حظائر وبني عليهم جدران وقبور وفنوا وتمزقوا وتفرقوا فلما كان بعد دهر مر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل فسأل ا أن يحييهم على يديه فأجابه إلى ذلك وأمره أن يقول : أيتها العظام البالية إن ا يأمرك أن تجتمعي فاجتمع عظام كل جسد بعضها إلى بعض ثم أمره فنادى : أيتها العظام إن ا يأمرك أن تكتسي لحما وعصبا وجلدا فكان ذلك وهو يشاهد ثم أمره فنادى : أيتها الأرواح إن ا يأمرك أن ترجع كل روح إلى الجسد الذي كانت تعمره فقاموا أحياء ينظرون قد أحياهم ا بعد رقدتهم الطويلة وهم يقولون : سبحانك لا إله إلا أنت وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة ولهذا قال : { إن ا لذو فضل على الناس } أي فيما يريهم من الايات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات الدامغة { ولكن أكثر الناس لا يشكرون } أي لا يقومون بشكر ما أنعم ا به عليهم في دينهم ودنياهم وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يغني حذر من قدر وأنه لا ملجأ من ا إلا إليه فإن هؤلاء خرجوا فرارا من الوباء طلبا لطول الحياة فعوملوا بنقيض قصدهم وجاءهم الموت سريعا في آن واحد ومن هذا القبيل الحديث الصحيح الذي رواه الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى أخبرنا مالك وعبد الرزاق أخبرنا

معمر كلاهما عن الزهري عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد ا بن الحارث بن نوفل عن عبد ا بن عباس أن عمر بن الخطاب خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام فذكر الحديث فجاءه عبد الرحمن بن عوف وكان متغيبا لبعض حاجته فقال : إن عندي من هذا علما سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إذا كان بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه] فحمد ا عمر ثم انصرف وأخرجاه في الصحيحين من حديث الزهري به بطريق أخرى لبعضه قال أحمد : حدثنا حجاج ويزيد العمي قالا : أخبرنا ابن أبي ذئب عن الزهري عن سالم عن عبد ا بن عامر بن ربيعة أن عبد الرحمن بن عوف أخبر عمر وهو في الشام عن النبي صلى ا عليه وسلّم [أن هذا السقم عذب به الأمم قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا] قال : فرجع عمر من الشام وأخرجاه في الصحيحين من حديث مالك عن الزهري بنحوه وقوله : { وقاتلوا في سبيل ا واعلموا أن ا سميع عليم } أي كما أن الحذر لا يغني من القدر كذلك الفرار من الجهاد وتجنبه لا يقرب أجلا ولا يبعده بل الأجل المحتوم والرزق المقسوم مقدر مقنن لا يزاد فيه ولا ينقص منه كما قال تعالى : { الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين } وقال تعالى : { وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } وروينا عن أمير الجيوش ومقدم العساكر وحامي حوزة الإسلام وسيف ا المسلول على أعدائه : أبي سليمان خالد بن الوليد Bه أنه قال وهو في سياق الموت : لقد شهدت كذا وكذا موقفا وما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية أو طعنة أو ضربة وها أنا ذا أموت على فراشي كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء ـ يعني أنه يتألم لكونه ما مات قتيلا في الحرب ويتأسف على ذلك ويتألم أن يموت على فراشه وقوله : { من ذا الذي يقرض ا قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة } يحث تعالى عباده على الانفاق في سبيل ا وقد كرر تعالى هذه الاية في كتابه العزيز في غير موضع وفي حديث النزول أنه يقول تعالى : [من يقرض غير عديم ولا ظلوم] وقال ابن أبي حاتم : حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد ا بن الحارث عن عبد ا بن مسعود قال : لما نزلت { من ذا الذي يقرض ا قرضا حسنا فيضاعفه له } قال أبو الدحداح الأنصاري : يا رسول ا وإن ا D ليريد منا القرض ؟ قال : [نعم يا أبا الدحداح] قال : أرني يدك يا رسول ا قال : فناوله يده قال : فإني قد أقرضت ربي D حائطي قال : وحائط له فيه ستمائة نخلة وأم الدحداح فيه وعيالها قال فجاء أبو الدحداح فنادها : يا أم الدحداح قالت : لبيك قال : اخرجي فقد أقرضته ربي D وقد رواه ابن مردويه من حديث عبد

الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر Bه مرفوعا بنحوه وقوله : { قرضا حسنا } روي عن عمر وغيره من السلف هو النفقة في سبيل ا وقيل : هو النفقة على العيال وقيل : هو التسبيح والتقديس وقوله : { فيضاعفه له أضعافا كثيرة } كما قال تعالى : { مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل ا كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة وا يضاعف لمن يشاء } الاية وسيأتي الكلام عليها وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد أخبرنا مبارك بن فضالة عن علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي قال : أتيت أبا هريرة Bه فقلت له : إنه بلغني أنك تقول إن الحسنة تضاعف ألف ألف حسنة قال : وما أعجبك من ذلك لقد سمعته من النبي صلى ا عليه وسلّم يقول [إن ا يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة] هذا حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير لكن رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر فقال : حدثنا أبو خلاد سليمان بن خلاد المؤدب حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا محمد بن عقبة الرفاعي عن زياد الجصاص عن أبي عثمان النهدي قال : لم يكن أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فقدم قبلي حاجا قال : وقدمت بعده فإذا أهل البصرة يأثرون عنه أنه قال : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [إن ا يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة] فقلت : ويحكم وا ما كان أحد أكثر مجالسة لأبي هريرة مني فما سمعت هذا الحديث قال : فتحملت أريد أن ألحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت إلى الحج ألقاه في هذا الحديث فلقيته لهذا فقلت : يا أبا هريرة ما حديث سمعت أهل البصرة يأثرون عنك ؟ قال : ما هو ؟ قلت : زعموا أنك تقول : إن ا يضاعف الحسنة ألف ألف حسنة قال : يا أبا عثمان وما تعجب من ذا وا يقول { من ذا الذي يقرض ا قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة } ويقول { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [إن ا يضاعف الحسنة ألفي ألف حسنة] وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره من طريق عمرو بن دينار عن سالم عن عبد ا بن عمر بن الخطاب أن رسول ا صلى ا عليه وسلّم قال [من دخل سوقا من الأسواق فقال : لا إله إلا ا وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ـ كتب ا له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة] الحديث وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو زرعة إسماعيل بن إبراهيم بن بسام حدثنا أبو إسماعيل المؤدب عن عيسى بن المسيب عن نافع عن ابن عمر قال : لما نزلت { مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل ا كمثل حبة أنبتت سبع سنابل } إلى آخرها فقال رسول ا صلى ا عليه وسلّم [رب زد أمتي] فنزلت { من ذا الذي يقرض ا قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة } قال [رب زد أمتي] فنزلت { إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب } وروى ابن أبي حاتم أيضا عن كعب الأحبار : أنه جاءه رجل فقال : إني سمعت رجلا يقول : من قرأ { قل هو ا أحد } مرة واحدة بنى ا له عشرة آلاف ألف غرفة من در وياقوت في الجنة أفأصدق ذلك ؟ قال : نعم أو عجبت من ذلك ؟ قال : نعم وعشرين ألف

ألف وثلاثين ألف ألف وما لا يحصي ذلك إلا الله ثم قرأ { من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة } فالكثير من الله لا يحصى وقوله { والله يقبض ويبسط } أي أنفقوا ولا تبالوا فالله هو الرازق يضيق على من يشاء من عباده في الرزق ويوسعه على آخرين له الحكمة البالغة في ذلك { وإليه ترجعون } أي يوم القيامة